مجلة الرائد

العدد : ٢٠٥ الموافق في شعبان ١٤١٩ هجري ١ / ١٩٩٩ ميلادي

أحاديث : ضعف الذاكرة	بقلم : ع. حسان

رَنَّ الهاتف في منزلي ظُهرَ اليوم ، فلما رفعت السمّاعة أردّ ، إذا بي أفاجأ بأنّ المخابرة من عيادة الدكتور « ..... »

قالت لي السكرتيرة :

- لقد تأخرت عن موعدك المحدّد...والطبيب ينتظر...

وكنت قد نسيت الموعد ، ولم أكن مستعدّاً للذهاب إليه فوراً ، فلم أجد بدّاً من الاعتذار عن الحضور ، وطلب موعدٍ جديد .

ورَنَّ الهاتف عندي مساءً:

- إنّ الضيوف ينتظرونك حسب الموعد المتفق عليه في الشهر الماضي .

وكنتُ قد نسيت الموعد أيضاً !!

أرجو ألاّ تظلموني ، فأنا حريص على مواعيدي كلّ الحرص ؛ ولكن ذاكرتي ضعيفة ، وشواغلي كثيرة ، فأحتاجُ أن أُذكَّرَ - أحياناً - بالمواعيد ، ولا يوجد - غالباً - من يذكّرني ، وليس لي من الطاقة والوقت ما يمكنني من ترتيب جميع أموري بنفسي .

ذاكرتي ضعيفة - كما قلت - ؛ ولكنني أصبحت أستحي أن أعتذر بضعف ذاكرتي ؛ فقد غدا الحديث عن ضعف الذاكرة " موضة " كما يقول الغربيون ... " موضة " تنطوي على شيء من التفاخر المقنَّع ، إذ استقر في نفوس أكثر الناس أنّ الذاكرة لا علاقة لها بالعقل والفهم والذكاء ، وأنّ الإبداع مع ضعف الذاكرة دليل من أدلّة الموهبة الغزيرة والذكاء الخارق .

أما عند غير المبدعين - وأنا واحد منهم : أي من غير المبدعين - فضعفُ الذاكرة قد يُدَّعَى - أحياناً - ادعاءً مكذوباً أو مبالغاً فيه ، ليكون ستاراً لقلة البضاعة العلمية والأدبية ، إذ يوحي به مُدعيه لسامعيه بشكل غير مباشر : أنه كان يعرف كثيراً ، ويحفظ كثيراً ؛ ولكنه نَسِي !! ، وأنه يقرأ الآن كثيراً ؛ ولكنه يَنسى !! ...

كان هذا الذي أصفه في الماضي ، وما يزال شائعاً في الحاضر ، وقد لاحظه وعبّر عنه بايجاز ساخر ساحر الكاتب الفرنسيّ الكلاسيكيّ الكبير : « لاروشفوكو » « **La Rochefoucauds** » الذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي (١٦٨٠-١٦١٣) في " تأمّلاته أو حِكَمِه وأحكامه الأخلاقية "

الشهيرة " **Reflexions ou Sentences et maximes morales** " التي تغلغل فيها في أطواء النفس البشرية ، والطبائع الإنسانية ، والبواعثِ الخفيّة ، بنظرته القاتمة المتشائمة ، وأحكامه القاسية ، التي تلقاها الناس باهتمام وإعجاب كبير ، فطبعت في حياته وبعد مماته مرّات ومرّات ، وتُرجمت إلى كثير من اللغات

قال لاروشفوكو في هذه التأملات والحكم : "

"**Tout le monde se plaint de sa memoire, et personne ne se plaint de son jugement.**

أو كما ترجموها بالألمانية :

" **Jederman klagt über sein Gedכchtnis, niemand über sein Verstand** "

أو كما أحاول ترجمتها إلى العربية الآن :

" كل واحد من الناس يشتكي من ذاكرته ، ولكن لا أحد منهم يشتكي من فهمه ورأيه وحُكْمه " .

فلنترك إذن التَّعَلُّلَ أو التبجّح الضمني بضعف الذاكرة ، ولنحاولْ جَهدَنا أنْ نحمي ذاكرتنا أن تتدهور ، وأن ننميّها ونقوّيها ، ونستخرج طاقاتها المختزنة ، بنظام صِحّي ونفسيّ وتربويّ سليم ، وبتعلّم أفضلِ وسائلِ التنميةِ والتدريب ، بإشراف أصحاب الاختصاص فينا في هذا المجال ؛ فالذاكرةُ القويّة ضرورةٌ من الضرورات ، ونعمةٌ جليلة من نعم الله عز وجل ، وكسْب كبير ، وعون كبير ، في مختلف جوانب الحياة .

ولنحاولْ أيضا أن نستفيد من وسائل التذكير الخارجية - وما أكثرها - لنستكمل بها ما نقصنا ، لا لنلغي بها ذاكرتنا الطبيعية ، ونُحِلَّها -خطأً- محلّها .

حاولوا - أيها الإخوة والأخوات - وسأحاول معكم بكلّ ما أستطيع... ولكن تذكّروا أن الشيخَ المسنَّ قد جاوز السبعين...لا يستطيع ما يستطيعه الشبابُ الغَضّ في العشرين ، أو الكهولةُ المكتملةُ القوّةِ والخبرة في الأربعين و الخمسين ، أو شبابُ الشيخوخة - إن صحَّ هذا التعبير - في الستّينيّات

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ ولـيس ينفـعُ بعـدَ الكَبْـرَةِ الأدبُ
إنّ الغـصونَ إذا قوّمتَهـا اعتـدلَتْ ولا تلـين إذا قوّمتَهـا الخُـشُبُ
نُقيمُ العصا ما كان فيها لُدونـةٌ وتأبى العصا في يُبْسِها أن تُقوَّما
وبعـضُ خلائـق الأقـوامِ داءٌ كـداءِ الـشيخ لـيسَ لـه شِـفاءُ

ولا ينطبق هذا - بالطبع - على شيوخ من شيوخنا الأجلاّء...كلما تقدّمتْ بهمُ السنّ تقدّموا في الفِقه والفضل والعطاء...

أتذكَّر بعضَهم - حفظهم اللهُ جميعا - فأتذكّرُ قولَ حافظ إبراهيم في سَعْد زَغْلول :

كُنتَ في مَيْعَةِ[1] الشبابِ حُسَاماً زادَ صَقْلاً فِرِنْدُهُ[2] حين شَابَا[3]

وبعد ؛ فما هو رأي الأخ الكريم الدكتور أبي عصام في هذا الكلام ؟ ولماذا لا يكتب لنا هو وأمثاله من المختصين في هذه الموضوعات الضرورية لتنمية الملكات ، وشحذ القدرات ، وتكوين الشخصيات...حتى ينتفع بهم القراء...ولا يتركوا المجال لأمثالي من غير أصحاب الاختصاص !!

الهوامش :

(١) ميعة الشباب : أوله .

(٢) الفِرِنْدُ : السيف أو ما يُلمَعُ في صفحتهمن أثر تموّج الضوء.

(٣) حين شابا : المقصود حين تقدمت به السنّ.